مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م٢٦ع١ ص ص: ١٦٩– ١٩٤ (٢٠١٨م)
DOI:10.4197 / Art.26-1.8

الجار والجارة في شعر الجاهلية وصدر الإسلام:
دراسة موضوعية فنية

خيرية علي الشاطر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبدالعزيز

جدة – المملكة العربية السعودية

المستخلص. هذا البحث هو عبارة عن دراسة أدبية في الشعر العربي القديم، بعنوان (الجار والجارة في شعر الجاهلية وصدر الإسلام: دراسة موضوعية فنية) . وقد تناولت فيه التعريف بالجوار وصوره، وحقوق الجار في شعر الجاهلية وشعر صدر الإسلام، وحقوق الجارة في شعر الجاهليين وشعر الإسلاميين، وكان المنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي .

وكان سبب اختيار الموضوع: الرغبة في إعادة بعث القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تحلى بها العربي في الجاهلية، وأصبحت جزءاً من كيانه وعرفا متبعا يحرص عليه ؛ إضافة إلى التنبيه إلى موقف الإسلام من هذه القيم النبيلة وتمسكه بها ودعوته إليها، وتذكير المسلمين والعرب بما كان عليه آباؤهم من قيم أصيلة تؤدي إلى الترابط والمودة .

وفي الختام: يظهر أن هذا الموضوع من الموضوعات الأدبية التي حظيت بلفتات سريعة (في بحث موجز، أو إشارة عابرة) في تضاعيف المؤلفات المعنية بالتاريخ للأدب العربي، في هذه الحقبة . ولذا ينبغي أن يحظى بدراسة علمية جادة مستقلة، تجمع شتات الشعر الذي قيل فيه، المنبث في بطون الدواوين والمجاميع الشعرية.

الكلمات المفتاحية: الجار والجارة، الشعر العربي القديم، العصر الجاهلي، صدر الإسلام.

توطئة

لقد تميز العرب عن سواهم من الأمم بمجموعة من القيم الأخلاقية النبيلة التي تغنى بها العربي في شعره ونثره (كالوفاء ، والشجاعة ، والكرم ، والرفق بالغريب ، وحماية الذمار.....إلخ ذلك).

وقد عرفت البيئة العربية هذه القيم ، وشاعت فيها بفعل عوامل كثيرة ، في مقدمتها ، البيئة العربية الطبيعية التي فرضت نفسها على المجتمع العربي بشدة. فالعربي عاش في بيئة صحراوية ، بين وديان سحيقة، وقفار مترامية الأطراف قلَّ أن تنزل على أرضها الأمطار، فهي جرداء قاحلة، في طبيعتها غلظة، وفي مناخها قسوة، لكن الطبيعة قد تجود على بعض بقاعها بالمطر والخصب فينمو الكلأ ويوجد الماء، هناك يهرع الناس إلى عيون الماء والمرعى، وقد يلجأ نفر منهم إلى الغارة، رغبة في إطفاء ظمأهم، ورعي حيواناتهم في بلاد شحيحة بالكلأ، ضنينة بالماء، فتشتعل الحروب، وتراق الدماء، ومن ثم تترسخ عادات وقيم تحت تأثير هذه البيئة.

وجل بقاع الجزيرة العربية – كما هو معروف– مفاوز مهلكة قد يتعرض المسافر فيها لعدو مباغت، من حيوان مفترس، أو إنسان مغير، مما يتطلب الشجاعة والجلد من جهة ، ويتطلب المؤازرة والمعاضدة من الآخرين من جهة أخرى ، وقد ينفد ماؤه وزاده، فيموت جوعاً وعطشاً، لذا أقول: إن البيئة الطبيعية فرضت على القوم أنماطا من السلوك، وبعثت فيهم حشدا من القيم التي ترسخت في نفوسهم جيلا بعد جيل، حتى غدت مهوى أفئدتهم، وموضع اهتمامهم، أوليس الخصام وغياب الأمن لعدم وجود حكومة مركزية تردع الظالم، وتأخذ للمظلوم حقه، هو الذي جعل العربي يفرض قانون حسن الجوار والوفاء بالعهد؟ أليست قسوة الطبيعة هي التي خلقت فيهم الشجاعة [١].

هكذا تبدو كثير من القيم الاجتماعية – المتعارف عليها لدى العرب – انعكاساً صادقاً للبيئة الطبيعية والاجتماعية، وقد فاض شعرهم بتلك القيم الخيرة، التي تبدي ما كان عليه مجتمع الجاهليين من الخلال المحمودة والشيم النبيلة.

وحرصاً مني على بعث هذه القيم والتذكير بها آثرت أن أتناول إحداها بالدراسة والبحث، وهي حسن الجوار، فجعلت موضوع البحث (الجار والجارة في شعر الجاهلية وصدر الإسلام دراسة موضوعية فنية).

أسباب اختيار الموضوع

١- الرغبة في إعادة بعث القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تحلى بها العربي في الجاهلية، وأصبحت جزءا من كيانه، وعرفا متبعا يحرص عليه حرصه علي الحياة نفسها، مما ينفي عن الجاهليين ما نُسِبَ إليهم علي ألسنة بعض الكتَّاب من التجرد من القيم النبيلة.

٢- التنبيه إلى موقف الإسلام من هذه القيمة النبيلة، وتمسكه بها، ودعوته إليها من خلال ما أفصحت عنه السنة النبوية المطهرة من حسن المثوبة لمن يحسن الجوار.

٣- تذكير المسلمين والعرب بما كان يحرص عليه آباؤهم، من قيم أصيلة ، تؤدي إلى الترابط والمودة ، ليتنبهوا إلى ما صاروا إليه في حياتهم المعاصرة من تمزق الروابط ، واندثار القيم في غمرة المدينة الحديثة ، وما جرت إليه من تفسخ الروابط .

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تجلية عدد من القضايا التي تجيب عن الأسئلة الآتية:

١- ما مدى تمسك العربي بالقيم التي خلدها شعره؟

٣- ما موقف العرب في الجاهلية تجاه الجار والجارة؟

٤- ما موقف الدين الإسلامي الحنيف من حقوق الجار والجارة ؟

٥- ما مدى تحقق الصدق الفني في هذا الشعر؟

٦- ما السمات العامة التي اتسم بها هذا الشعر؟

منهج البحث

المنهج المتبع - نظراً لطبيعة الموضوع، ومجال التخصص - سوف يكون مزيجاً من المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، إلى جانب الالتزام في جوانب الدراسة بطرائق البحث العلمي -كالاستقراء، والتحليل، والموازنة - ومقوماته (كالموضوعية، والوضوح) .

الدراسات السابقة

هناك عدد من الدراسات الأدبية التي تعرضت لموضوع الجوار في الشعر العربي القديم، ومعظم هذه الدراسات كانت عبارة عن إشارات عابرة في تضاعيف المؤلفات المعنية بالتاريخ للأدب العربي، إلا أن الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك كان له فضل السبق في تناول هذا الموضوع في كتاب مستقل بعنوان (الجوار عند العرب في الشعر حتى العصر الأموي). فقد جمع فيه الشعر الذي تناول حقوق الجار والجارة في الأدب العربي، حتى نهاية عصر بني أمية، بيد أنه لم يتناول الدراسة الفنية لهذا الشعر.

و إلى جانب ذلك هناك بحث علمي بعنوان (معاملة العرب لجار البيت كما ينم عنها الشعر القديم) للدكتور محمد بن سلمان السديس [في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع، رجب ١٤١١هـ] وفيه تناول الباحث حقوق الجار - منذ العصر الجاهلي حتى العصر الأموي- في ست وعشرين صفحة، مسلطاً الضوء علي ثلاثة حقوق هي: الكرم وكف الأذى عنه، والعفة عن الجارة ، ولم يحتوِ البحث علي أي دراسة فنية.

مكانة الجار والجارة في الذاكرة العربية قبل الإسلام وبعده

بلغ الجار في الجاهلية مكانة رفيعة في نفوس العرب عامة، سواء كان غريباً أم قريباً، فقد تعهدوه بالحماية والرعاية، وحافظوا على حرماته وشرفه، ولم يبخلوا عليه بشيء مهما غلا ثمنه، وتغاضوا عن هفواته، وعملوا جاهدين على إرضائه ما وسعهم ذلك.

وقد أقر الإسلام تلك المنزلة الرفيعة للجار التي منحها المجتمع إياه، إذ جعلها من تمام الإسلام، وأمر باحترامها والوفاء بها، و بلغ من عظم حق الجار في الإسلام، أن قرن الله تعالى حق الجار بعبادته وتوحيده وبالإحسان إلى الوالدين واليتامى والأرحام، فقال جل جلاله في كتابه العزيز: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والجار ذي القربى والجار الجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) [٢]، بل كادت حقوق الجار في الإسلام تصل إلى حقوق ذوي القربى والرحم، فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (ما زال جبريل يوصني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [٣]، كما حذر الإسلام أشد التحذير من إيذاء الجار، ونفى (عليه الصلاة السلام) الإيمان عمن يؤذي جاره فقال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا

رسول الله ؟قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه) [٤].
فقد كرر الرسول (صلى الله عليه وسلم) القسم ثلاثاً، تعظيماً لحق الجار، وتحذيراً من مغبة الغدر به أو الكيد له، وتكرار القسم أمر جعل الصحابة رضوان الله عليهم يتساءلون عن هذا الموصوف بهذا الوصف المخيف – والله لا يؤمن – فكانت إجابة الرسول أعم وأشمل مما تصوره الصحابة. إنه وصف ينطبق على كل من وصف بهذا الحديث، في كل زمان ومكان.

والإسلام يهدف من وراء الإحسان إلى الجار إلى: مضاعفة الحسنات، ودخول الجنة، والنجاة من النار؛ بينما كان الهدف من رعاية الجار في الجاهلية هو التمدح بالذكر الحسن،والرغبة الصادقة أن يخلد الشعر أفعالهم ومكارمهم لتكون معلما وهاديا للأجيال القادمة (يتعلمون منها القيم السلوكية العليا التي تطهر النفس وتهذب الخُلُق).

ولاشك أن تلك القيم تصور واقعهم الاجتماعي، وما كان عليه حالهم فكانت حماية الجار، ونصرته والدفاع عنه، من أهم القيم الاجتماعية وأولها ؛ لأن مجتمع الجاهليين كان مجتمعا صحراويا تحكمه شريعة القوة. فالقوي وحده له البقاء، والضعيف له الذل والفناء . فهو لا يستطيع حماية ماله وعرضه، والدفاع عما يملك . فكان لابد من المحالفات، وفرض قانون الجوار، لتعزيز القوة وتقوية الحماية . والمقصود بالجوار في الأصل، أن يحافظ الرجل على جاره القريب، وهو من قبيل التعاون الطبيعي،لكن العرب توسعوا في ذلك حتى اشتقوا منه الإجارة والاستجارة والجوار، وكلها بمعنى الحماية، مع أن أصل المادة (جار) تفيد عكس ذلك، واستعاروا الجوار للحماية على الإطلاق، فإذا خاف أحدهم لجأ إلى رجل يحميه، ويكفي أن يقول له: (أجرني)، فيجيره بكل ما يملك من قوة، بل قد يفرط في أهله ولا يفرط في جاره [٥].

وقد جاء العمل بقانون الجوار على صور شتى وأنماط عديدة، فإذا استجار شخص بشخص آخر، وقبل ذلك الشخص أن يجعله جاراً ومستجيراً به، اكتسب هذا الجوار صيغة قانونية، ووجب على المجير حمايته، والذبّ عنه وإلا عدَّ ناقضاً للعهد، ناكثاً للوعد، مخالفا لحق الجوار، بل لقد تجاوز الحد في حماية الجار، أن زعموا قدرتهم على حمايته من الموت، وذلك بأن يدفع المجير دية من يتولى إجارته إذا هو مات، وخير دليل على ذلك ما روى أن الأعشى امتدح الأسود العنسي فأعطاه جائزة من الحلل والعنبر، فرجع في طريقه على بني عامر، فخافهم على ما معه من المال، فأتى علقمة بن علاثة فقال له: أجرني... فقال: قد أجرتك... قال: من الأنس والجن؟ قال: نعم، قال: ومن الموت؟ قال: لا، فتركه، وأتى عامر بن الطفيل فقال له:أجرني، قال: أجرتك، قال: من الأنس والجن؟ قال:نعم، قال:ومن الموت؟ قال: نعم، قال: وكيف تجيرني من الموت؟ قال:إذا مت، وأنت جاري بعثت إلى أهلك الدية، فقال: الآن علمت أنك تجيرني [٦].

وقد يجئ البعض ليستجير برجل فلا يجده في بيته، فيكتفي بعقد طرف من ثوبه على جانب طنب البيت، فإذا فعل ذلك صار جاراً، ووجب على المعقود بطنب بيته للمستجير به أن يجيره، وأن يطلب له بظلامته [٧] .

ومما هو جدير بالذكر، أن بعض العرب غالى في

الإجارة، فلم تتوقف حمايتهم ودفاعهم عن الجار الإنسان، بل تعدَّت ذلك إلى أشياء أخرى، فأجاروا ما ليس بإنسان (مبالغة في العزة والكرامة ، وتحدياً أن يخفر الجوار أحدٌ) ، مثل ما فعل الحارثة ابن مر بن حنبل الطائي، الذي نزل الجراد في فناء بيته-، فأتى الناس يحملون أوعيتهم، ليلتقطوه، فخرج إليهم، فقال: ما خطبكم ؟ قالوا: جراد وقع بفنائك-، ونريد أن نأخذه، فركب فرسه وحمل رمحه، وقال: والله لا يعرضن له أحد منكم إلا قتلته، وإنكم رأيتموه في جواري ثم تريدون أخذه، فلم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس و طار، فقال: شأنكم الآن، وقد تحول عن جواري، ولم يفت الشعر هذا الموقف دون أن يسجله،فهذا شاعر طائي يعتز بأن حامي الجراد من عشيرته فيقول:

ومنا ابن مرٍّ أبو حنبل

أجار من الناس رَجلَ الجرادِ

وزيدٌ لنا ، ولنا حاتمٌ

غياث الورى في السنين الشِّدادِ [٨]

وقد ظهرت حقوق الجوار التي تمدح بها الشعراء، جلية في موروثهم الشعري فهذا عنترة العبسي يزهو بحماية جاره من أي شدة أو بلاء يصيبه إذ يقول:

وإني لأحمي الجارَ من كل ذلةٍ

وأفرحُ بالضيفِ المقيم وأبهج [٩]

وتلك الخنساء تفتخر بشجاعة أخيها ودفاعه عن الجار، فلا يضام له جار ولا يهضم له حق مادام بجواره فتقول:

وجارُك محفوظ منيعٌ بنجوةٍ

من الضَّيم،لا يُـبْزَى ولا يتذلَّل [١٠]

كما نجدها - أيضا - في موضع آخر، تبكي في أخيها الشجاعة، وحماية الجار والدفاع عنه، فمن للجار إذا أصابته المصائب، وهضمت حقوقه، وجاء مستغيثا يطلب الحماية، بعد ذهاب صخر،حيث تقول:

وللجار يوم أن دعا لمضيفه

دعا مستغيثا أولا بالجوانح [١١]

أما أسد بن كرز، فيعلن كيف منع الضيم والغدر بحق جاره، فقد نال من قوم سحمة، حين تعرضوا لجاره، وطردوا له إبلا كثيرة، فأوقع بهم واقعة عظيمة، ولم يكتفِ بذلك بل تتبعهم حتى عاذوا به، واستجاروا بنفسه منه، وفي ذلك يقول:

فما جارُ بيتي بالذليل فترتجى

ظُلامته يوما ولا المتهضمِ

فمن جارُ مولى يدفع الضيم جارُه

إذا ضاع جاري يا أميمة أو دمي

وكيف يخاف الضيم من كان جاره

مع الشمس ما إن يستطاع يسلم [١٢]

وعلى شاكلته عوف بن عطية يعلن ميثاق شرف، بأن جاره ممتنع من الغدر به والسطو عليه، فيقول:

وأمنعُ جاري من المُجحفا

ت والجارُ ممتنع حيث صارا [١٣]

موقف القبيلة من الجار

ولم تقتصر حماية الجار والذود عنه على الفرد وحده، وإنما امتد ليشمل القبيلة كلها، وليس ابعث لفخر الشاعر بقبيلته،من أن تكون حريصة على من يجاورها، أمينة عليه وعلى أهله وماله، ويزخر الشعر العربي بكم هائل من الأبيات التي تتحدث عن العزة والكرامة، والحرية المطلقة التي توفرها القبيلة للجار، وتجد في ذلك الصنع المتعة

والسعادة، من ذلك، قول عبيد بن الأبرص:
نحمي حقيقتنا ونمنع جارنا
ونـلف بين أرامل الأيتام [١٤]
وفي موضع آخر،يؤكد مُقسِماً بأن حليف قومه لا يلحق به ضم،ولا يمسه سوء، فيقول:
إنَّا لعمرك لا يــُضـــــ ـــــام حليفنا أبداً لدينا [١٥]
وعلى غراره قيس بن الحدادية يفخر بحماية قومه لجارهم، فهو عزيز، منيع الجانب غير مظلوم، ولا مهتضم حقه، فيقول:
فجارهم آمن من دهره بهم
أن يضام وأن يغتصب [١٦]
ويتباهى السموءل بالعزة والسمو، والمنعة والحصانة، التي يتمتع بها جار قومه مع قلة عدد قومه، في الوقت الذي كان جار الأكثرين ذليلاً مهاناً، حيث يقول:
مـا ضـرنـا أنّـا قـلـيـل وجــارنـا
عـزيـز وجـار الأكـثـرين ذلـيـلُ
لـنـا جـبـلٌ يـحـتـلـه مـن نـجـيـره
منـيـعٌ يـردُّ الـطَّرفَ وهـو كـلـيـلُ
رَسَا أصله تحت الثَّرى وسما به
إلى النجم فرعٌ لا ينال طويلُ [١٧]
كذلك شأن حسان بن نشبة العدوي ، نراه يمدح قوما، ويفديهم بنفسه ، لأنهم أبوا أن يبيحوا جارهم لعدوهم، على الرغم من احتدام القتال ، وسقوط القتلى، فيقول:
إني وإن لم أفـد حـيّا سـواهـم
فـداء لـتـيم يـوم كلب وحـميرا
أبو أن يـبـيحوا جـارهم لـعدوهم
وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا [١٨]

وفي المقابل: كانت العرب تهجو من يخذل جاره، ويعجز عن حمايته، وتعد ذلك سبّةً وعاراً. فقد هجا بشر بن أبي خازم عتبة بن مالك بن جعفر، حين لم يثأر لجاره من بني أسد قوم بشر، معيراً إياه بالخذلان والتهاون في ضياع دم جاره فقال:
فمن يك من جار ابن ضباء ساخراً
فقد كان في جار ابن ضباء مسخر
أجـار فـلم يمـنـع مـتن الـضـيم جـاره
ولا هـو إذ خـاف الـضـيـاع مسيـَّـر [١٩]
وعلى شاكلته امرؤ القيس يهجو بني شمجى هجاء مرا، فيقول:
مُـجَاوَرَةً بني شَمَجَى بنِ جَرْمٍ
هَواناً ما أُتيـحَ مِنَ الـهَوانِ [٢٠]
ولم يقتصر حق الجار عند العرب على حمايته والذود عنه، بل تعدى ذلك إلى إكرامه، والسخاء عليه، وتنعمه بخيراتهم، ومشاركته في زاد بيتهم، وكفاف عيشهم، فليس هناك خصوصية لهم دون جارهم، فهم سواء فيما هو من حقه .
ومما لاشك فيه أن إكرام الجار من أعظم الحقوق التي أكدت عليها الشريعة، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم إكرام الجار من كمال الإيمان، قال (عليه الصلاة والسلام): (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر،فليكرم جاره) [٢١]، وقال (صلى الله عليه وسلم): (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به) [٢٢] .
وقد مدح الشعراء ساداتهم وفضلاء قومهم، بهذه القيمة الاجتماعية العريقة التي عرفها العرب منذ الأزل، وجعلوها دليل الرفعة والسيادة والفخر،وغاية المجد، لما فيها من الإيثار وعلو الهمة، وعدوا

فقدها مذمة وعاراً.

وقد تعددت صور وأساليب الشعراء في التعبير عن إكرام الجار، فمنهم من حرَّم الزاد على نفسه، متى ما علم أن بيت جاره يخلو من القوت، فهذا عروة بن الورد أحد شعراء الصعاليك (الذي نحل جسده من قلة الطعام، حتى صار هيكلا مخيفا) تبلغ به المشاركة الوجدانية ذروتها،حين يحرم على نفسه الطعام والشراب، إذا علم أن بيت جاره قد خلا من الطعام،حيث يقول:

فــإنَّ حــمــيــتــنــا أبــدا حــرام
وليس لجار البيت منزلنا حميت (٢٣)

ومن الشعراء من أعلن المشاركة التامة، والاقتسام الكامل فيما يملكه إذا لم يكن للجار مثل ما عنده، على نحو قول عروة بن الورد:

قدحان قدح عيال الحي إذ شبعوا
وآخر لذوي الجيران ممنــوح (٢٤)

ومنهم تعهد بدفع الجوع عنه والإغداق عليه بألوان من فيض الجود حتى يقوى،على نحو قول الأعشى في مدح قوم عامر بن الطفيل:

والشافعون الجوع عن جارهم
حتى يرى كالغصن الناضر (٢٥)

ومما يتصل بالكرم خصلة الإيثار، وتعني أن يسمح الإنسان لآخر بنصيبه من المتاع مالاً أو طعاماً أو غيره . ومن أشهر من عرف بذلك الإيثار في تاريخ الجاهلية حاتم الطائي، غير أن الأثرة عنده بلغت ذروة السنام، إذ يقول في حق إكرام جاره:

إذا كان لي شيئان يا أم مالك
فإن لجاري منهما ما تخيرا
وفي واحد إن لم يكن غير واحد
أراه لـه أهـلا إذا كـان مقتـرا (٢٦)

فالشاعر بلغ من شدة كرمه وسخاءه لجاره، أن طلب من زوجته إذا كان لديها شيئان أن تخير جارهما بينهما، وله أن يختار الأفضل ؛ لأنه أولى بذلك، أما إن كان الشيء واحدا غير قابل للقسمة، فهو من نصيب جاره ولاسيما إن كان مقتراً ومحتاجاً إليه، وعلى أية حال ليس هذا بمستغرب بمن ضرب به المثل في الجود والسخاء.

ولم يغب عن ذهن الشعراء التعيير والذم في حق من بخل وقصر في إكرام جاره . فمن المعروف أن العرب لم يكونوا كلهم أجوادا (بل كان منهم الجواد والبخيل، وكان منهم المتلاف والحريص، وكان منهم من يزدري المال، ومنهم من يزدري الفضيلة والعاطفة، في سبيل جمعه وتحصيله) (٢٧)، وقد سدد الشعراء سهامهم الجارحة حول من بخل في إكرام جيرانه، فهذا حسان بن ثابت يصف قوما يدعون بني أسلم،بالدناءة والخسة ؛ لأنهم يعلمون أن جارهم سيلقى حتفه جوعا في بيته، فلا يحركون ساكنا لإنقاذه، يقول:

قد عَلِمَتْ أَسْلَمُ الأنذالُ أنَّ لهم
جَاراً سَيقْتُلُـهُ في دارِهِ الجُوعُ (٢٨)

كما ذم قوما آخرين فقال فيهم:

خُـرْقٌ مَعَـازِيـلُ إذا جَدَّ الوغَى
بُطُنٌ إذا ما جَـارُهُمْ لم يَشْبَعِ (٢٩)

فحسان بن ثابت يصم هؤلاء القوم، بأنهم إلى جانب جبنهم وخرقهم وخلو أيدهم من السلاح في الهيجاء، بخلاء ممتلئو البطون وجارهم ساغب لاغب.

وفي موضع آخر ينال من بني زهرة حين يرميهم بإمساك اليد عن الجار،وهو في حاجة ماسة إلى عطاياهم قائلا :

لئامُ مساعيها، قصارى جدودها

على الخير للجار الغريب محاشد (٣٠)

كما أدرك العربي أن حق الجار لا يكمن في حمايته والدفاع عنه وإكرامه – وإن كان هذا مطلوبا – بل هو أعم من ذلك إذ يشمل: تفقد أحواله، ومواساته في كل حال، وعدم إيذائه، وكف الأذى عنه، وصيانة عرضه، والحفاظ على شرفه ، و غض البصر عن محارمه، والبعد عن كل ما يريبه ويسيء إليه...إلخ ذلك.

وقد تغنى الشعراء بكل تلك الحقوق، فصوروا مدى الاهتمام بالحالة النفسية للجار، إذ كانوا يخلطون جارهم بأنفسهم، حتى ليشعر أنه فرد منهم، فلا يرغب عنهم إلا بمحض اختياره،صور ذلك عدي بن زيد السكوني في لوحة شعرية رائعة فقال:

إني حمدت بني شيبان إذ خمدت

نيران قومي وفيهم شبت النَّار

ومن تكرمهم في المحل أنهم

لا يعلم الجار فيهم أنه جار

حتى يكون عزيزا من نفوسهم

أو أن يبين جميعاً وهو مختار

كأنه صدع في رأس شاهقة

من دونه لعتاق الطير أوكار (٣١)

فالشاعر يقول لما رأيت بني شيبان – عند جدب الأرض، وإقتار الناس – يوقدون نار ضيافتهم، على حين أن نيران قومي خامدة متروكا إشعالها، أثنيت عليهم، ونشرت فضلهم . إنهم يحلون جارهم من الحفاوة والإكرام والعناية محلا كبيرا، ويعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزاً فيما بين ظهرانيهم أو يختار مفارقتهم، فضلا عن ذلك فهو ممتنع كامتناع الوعل في رؤوس الجبال، إذ لا يستطيع أحد أن يصل إليه، أو أن ينال منه.

كما افتخر الشعراء كثيرا بكف الأذى عن الجار، وخلدوا أروع المدائح لكافي الشر عن جيرانهم، فهذا زهير بن أبي سلمى يفخر بكفه الأذى عن جيرانه، فيقول:

وكفّي عن أذى الجيرانِ نفْسِي

وإعلاني لمن يبَغِى علاني (٣٢)

وكذلك قيس بن عاصم يفخر بقبيلته ويصف كرم أخلاقهم، فهم لا يفتشون عما خفي من أمر الجار، ويحفظون له ما يوجب عليهم حفظه، فيقول:

لا يفطنون لعيب جارهم

وهم لحفظ جواره فطن(٣٣)

في حين نجد حسان بن ثابت يمدح قوماً، بأن جارهم آمنٌ مطمئنٌ طوال حياته، لا يخشى أي أذى أو ضُر يصل إليه،يقول:

فما أحدٌ مِنَّا بمُهْدٍ لجَارِهِ

أذاةً ولا مُزْرٍ به، وهو عَامِدُ

لأنَّا نَرى حَقَّ الجوارِ أمانةً

ويحفظه منَّا الكريمُ المعَاهِدُ (٣٤)

وعلى منواله أعشى بن النباش يمدح قوما، بأن جارهم لا يشكو أي ضائقة في جوارهم فكل الأبواب أمامه مفتوحة ترحب به، وذلك في قوله:

لا جارهم يشكو ولا ضيفهم

من دونه باب لهم يَصرِفُ (٣٥)

مكانة الجارة

كانت الجارة موضع اهتمام عند العرب عامة، فقد نظروا إلى حقوقها نظرة لا تنفصل عن حقوق الجوار، وتفننوا في حمايتها والدفاع عنها، وأحاطوها بالرعاية وحسن المعاملة. إذ كان العربي الذي تجاوره المرأة يقوم مقام أهلها وعشيرتها، فلا يطمع في مالها، ولا يحاول الإساءة إليها، ولا يتبع سرها، ولا يحادثها بغية اختلاس نظرة إليها .إنه يكرمها فلا تعاني الجوع، ويغض الطرف عنها، ولا يخلو بها، لأن الخلوة بالمرأة الأجنبية مآلها الفساد.

ولما جاء الإسلام أقرَّ هذا الخلق الرفيع، ورغب فيه، وحث على التخلق به، وجعله من متطلبات الدين، فأمر بغض البصر عن المحارم،والذب عن حرمة الجار، والحفاظ على عوراته وعدم خيانته في ماله و أهله، وجعل من أعظم الذنوب عند الله الزّنا بحليلة الجار،أخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه،قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال: أن تجعل لله ندا،وهو خلقك،قلت: ثم أي ؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك،قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. [٣٦] وروي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: (لأن يزني الرجل بعشرة نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره) [٣٧] .

حماية المرأة الجارة:

لاشك أن للمرأة الجارة حقوقا خاصة تتعلق بوضعها كامرأة إلى جانب حقوق الجوار العامة . وأولى تلك الحقوق التي دارت كثيرا على ألسنة الشعراء حمايتها والمحافظة على شرفها، فهي حصان، موفورة العرض، وافرة الشرف، بعيدة عن كل ريبة، مادامت نازلة في جوارهم.

وتبدأ هذه الحماية بصون عفاف الجارة، فلا يجرؤ أحد على أن يستبيح حماها، أو أن ينال من عرضها. فهذا حاتم الطائي يدعو على نفسه بالافتضاح إن حدثته نفسه بزيارة جارته تحت جنح الليل، ويتساءل تساؤل الأبي المستنكر لهذا الخلق المشين، أأفضح جارتي وأخون جاري؟ حاشاه لله أن تحدثه نفسه بذاك الصنيع الدنيء مادام حيا،، وذلك في قوله:

إذا ما بتُّ أختُلُ عِرسَ جاري
لـيُخفيني الـظلام فـلا خفيت
أأفـضحُ جـارتي وأخـونُ جاري
معـاذ الله أفـعل مـا حـييـت [٣٨]

و نراه يكرر هذا المعنى فيقول:

لا نطرقُ الجاراتِ من بعدِ هَجْعَةٍ
مـن الـليلِ إلاّ بالـهديةِ تـُحْـمَـلُ
ولا يُـلْطَمُ ابـنُ العمِّ وسطَ بيوتِنا
ولا نـتَصَـبّي عرسَه حـينَ يَـغْفَلُ [٣٩]

فالشاعر يذكر أنه لا يأتي الجارة ليلا وبعلها غافل أو غائب عنها إلا إذا اضطر إلى حمل طعام أو هدية إليها، وذلك باطمئنان من عفة البصر وعدم الافتتان (حيث بعلها لا يمس عرضه سوء).

كذلك كان خلق عنترة بن شداد، إذ نجده يفتخر ببعده عن موطن الريبة، فلا يزور جارته إلا في حال وجود بعلها، فإذا خرج غازيا لا يقترب من بيتها حفاظا على عرضها وصوناً لها،حيث يقول:

أغشى فتاة الحيّ عند حليلها
فإذا غزا في الجيش لا أغشاها [٤٠]

وعلى نهجه نجد برذع بن عدي يكشف عن نبل

خلقه وسمو شرفه في حفظه لعرض زوجة جاره عن كل مكروه يجيئها منه، فيقول:

فـلا وإلهي لا يـقـول مـجـاوري
ألا أنه قد خانني اليوم برذع
وأحفظ جاري أن أخاتل عرسه
ومولاي بالـنـكراء لا أتطلع[٤١]

أما أوس بن حجر فقد آلى على نفسه أليَّةً قديمة، ألا يغدر بجارته، وألا يستحل منها ما حرم عليه، وذلك في قوله:

علـيَّ أَلـِيَّـةٌ عَتُقَتْ قديماً
فَلَيْسَ لها، وإن طُلِبَتْ مَرَامُ
بأنَّ الغَدْرَ وقد عَلِمَتْ مَعَدٌ
علـيَّ وجَــارَتـــي مـنـّي حَـرَامُ [٤٢]

وتشيد الخنساء في رثاء أخيها صخر بن عمرو بعفته عن جاراته وبعده عن الفحش، وتذكر أنه لا يقترب من ساحة جارته، ولا يستغل فرصة غياب زوجها،فيسيء إليها ويخدش حياءها، فتقول:

لم تَرهُ جارةٌ يمشي بِساحتها
لريبةٍ حين يُخْلِي بيتَهُ الجارُ [٤٣]

وفي موضع ثانٍ تؤكد تأصل هذه الفضيلة في أخيها، فتذكر أنه لا يتسلل في جوف الليل إلى جاراته، فتقول:

لا يقوم إلى ابن العم يشتمه
ولا يدب إلى الجارات تخويدا [٤٤]

ولقيمة هذه الفضيلة وعظمها في حياة العرب، أوصى الشعراء أبناءهم بعفة الجارة، وتعظيم حرمتها، والمحافظة على شرفها بحيث تبقى مصونة، بعيدة عن الاعتداء عليها، فجاء شعرهم يحكي سموهم عن الجارة . فهذا الأعشى يوصي ابنه قائلا:

ولا تقربن جارة إن سرها
عليك حرامٌ فانكحن أو تأبّدا [٤٥]

ويكرر الوصية بحق الجارة في موضع آخر، فيقول:

وجارة جنب البيت لا تبغ سرها
فإنك لا تخفى على الله خافيا [٤٦]

وعلى غراره يوصي أبو صخر الهذلي بتجنب الخلوة بالجارة، فيقول:

وتَوقَّ إنْ حَلَّتْ جَنابَكَ جَارَةٌ
كَـفَّ المُـشيرُ إلـيكُمَا بـأنـامـلِ
نـُلـهَا بخيرِكِ واعْـتزلْ خَلواتِها
واحْذَرْ مُجَاهَرَةَ الكَذُوبِ الـماحِلِ [٤٧]

ويدعو لبيد بن ربيعة العامري إلى العفة عن الجارات وإلى إكرامهن فيقول:

وعَفَّفْ عن الجاراتِ وامنْحـ ـهُنَّ مَيْسَركَ السَّمِينَا [٤٨]

وفي سبيل حماية المرأة الجارة وصون عرضها، الزم العربي نفسه بغض البصر عنها، وتعطيل سمعه عن سماع حديثها، فهذا حاتم الطائي بلغ من شدة حيائه وحفاظه على شرف جاراته، وعدم خدش حيائهن ، أنه ما مرَّ بإحداهن إلاَّ وتغافل أو تعامى، كأنه لا يراها ولا يعرفها، نلمس ذلك في قوله:

وما ضر جاراً لي أجاوره
أن لا يكـون لبابه سـتـر
أغشو إذا ما جارتي برزت
حتى يواري جارتي الخدر[٤٩]

وفي نفس هذا المعنى يزهو عنترة بن شداد بغض طرفه عن جارته فيقول:

وأغض طرفي ما بدت جارتي

حتى يُواري جاراتي مأواها(٥٠)

كذلك كان شأن عروة بن الورد عفيف البصر، عديم النظر إلى من لا تحل له، يتغافل عن النظر والتطلع إلى جارته، حين تقلع الريح خيمتها، فينكشف عنها حجابها، وتلوي به بعيدا عنها، وفي ذلك يقول:

وإنَّ جـارتي ألـوت ريح بـيتها

تغافلت حتى يستر البيت جانبه (٥١)

وقد التزم بهذا الميثاق الأخلاقي أيضاً قيس بن الخطيم فقال:

وما لمعت عيني لغرة جارة

ولا ودعتُ بالذم حين تبين (٥٢)

فالشاعر عفيف، يغض بصره عن جارته ، ويحفظ نفسه من الوقوع في الزلل ، ويحرص على طيب عشرته وحسن سمعته ، ومن ثم إذا رحلت عنه جارة البيت، اثنت عليه بالذكر الحسن الطيب.

وكذلك شأن أوس بن حجر نراه يفتخر بكف الأذى عن جاراته، فهنّ في جواره ينعمن بالراحة وهدوء البال، وينفي أن يأتي جيرانه منه في الليل ذباب يؤرقهم، وذباب أوس غير خاف أنه ذباب مجازي يقول:

ولَيْسَ بِطَارِقِ الجارَاتِ مِنّي

ذُبابٌ لا يُنِيمُ ولا يـنَـامُ (٥٣)

ولم يكتف العرب بحماية الجارة وصون عرضها،بل تعدى ذلك إلى إكرامها وتفقد أحوالها،وقضاء حوائجها، فالحاجة إلى الإحسان إليها ضرورة ملحة لاسيما إذا بعدت عن حيها، وفارقت أهلها وأقرباءها، والمغترب أكثر الناس تعرضاً للعوز والفاقة ، (وعليه يقع النصيب الأوفر من قسوة الحياة، وأول ما يتعرض للعوز هي الجارة التي بعدت عن حيها وأقربائها وأهل الرأفة بها؛ ولأن الغريب في الحي يواري فقره ، ولا يود أن يعلم أحد عن ضعفه وخصاصته، حتى لا يكون ذلك سببا بنزوله من كبرياء الترفع وصورة التجمل، والمرأة الجارة أحوج إلى ذلك التجمل وأولى به) (٥٤) .

ومما لاشك فيه أن الجار الأبي الكريم كان يشعر بالخزي والعار إن جاعت جارته وأهل بيته ينعمون بالشبع والإنعام، وهذا ما نستشعره عند عدي بن زيد إذ يقول:

وبسلٌ أن أرى جارات بيتي

يجعن وأن أرى أهلي شباعا (٥٥)

كما نجد هذا الشعور ذاته عند حاتم الطائي،فقد أحس في قرارة نفسه بالخزي حين يتلبس بهذا الحال، فيراه الناس ممتلئ البطن من الشبع بينما جاراته هزيلات من الجوع، فيقول:

وإني لأخزى أن ترى بي بطنةٌ

وجاراتُ بيتي طاوياتٌ ونحفُ (٥٦)

وكثيرا ما افتخر الشعراء بإكرامهم لجاراتهم، وتفقد أحوالهم في حال غياب رب الأسرة عنهم، وقضاء حوائجهم في عفة وستر، نرى هذه الصورة الإنسانية الرائعة في أبيات حاتم الطائي:

فلا وأبيك ما يظل ابن جارتي

يطوف حوالي قدرنا ما يطورها

وما تشتكي جارتي غير أنَّها

إذا غاب عنها بعلها لا أزورها

سيبلغها خبري ويرجع بعلها

إليهم ولم يقصر علي سـترها(٥٧)

فالشاعر يصور لنا العلاقة الإنسانية التي تربطه بالجارة، تلك العلاقة التي قوامها الرحمة ، والأبوة الحانية، فهو يحنو على ابنها حنو الأب على ابنه يأكل معه ولا يمنع عنه القدر، ويحفظ غيبة جاره في زوجته، فلا يزور بيته في غيابه، ولا يقطع رفده عنهم، بل يحرص أن يصلها الطعام وكل ما تحتاج إليه، دون أن ترخي عليها سُتُر بيتها، وتلك بلا شك شيمة العفيف الأبي النفس.

لاشك أن هذا المنهج الخلقي الرفيع،ذو منبع لا ينفذ ، ومعين لا يغيض،فما انفك لسان الشعر يسجل – بكل فخر واعتزاز– الرعاية التي تحاط بها الجارة، فهذا الشنفرى يعتز بخلق زوجته فهي كريمة مع جاراتها، تؤثرهن على نفسها ولو كان بها خصاصة، وفي أوقات الشدة والجدب والقحط تهدي لهن ما تحتفظ به في بيتها من زاد أو لبن، حيث يقول:

تَبِيتُ بُعَيدَ النَّومِ تُهْدِي غَبُوقَهَا
لجارتِهَا إذا الهديَّةُ قَلتِ (٥٨)

وعلى غراره لبيد بن ربيعة يصور لنا ما تنعم به جارة أخيه أربد من الكرم والحصانة، فيقول:

وجَـارَتـُهُ إذا حَـلـتْ إلـيهِ
لها نَفَلٌ وحظ في السنامِ
فإنَّ تقعد فمكرمة حصان
وإنَّ تـظعـن فمحسنـة الكـلام (٥٩)

ونرى الشاعر هنا يصور لنا خلق أخيه أربد مع جارته، فيذكر أنه إذا نحر الجزور أهدى أطيب لحومها لجارته ، وكانوا يعدون السنام من ذلك، كما أنها في جواره حصان لا يهتك لها ستر، ولا يجرؤ أحد على المساس بها، وإن رحلت من جواره أثنت عليه وذكرته بالذكر الطيب الجميل.

والحطيئة يثني على بني لأي بن شماس، ويذكر أن جارة بيتهم لا يمسها مسبغة ولا حرمان، فهم يضمنون لها استمرار القوت من اللحم في الوقت الذي لا يتوفر فيه الخير الكثير، وفي ذلك يقول:

وما تَـتَـتَّامُ جَـارةُ آلِ لأيٍ
ولكنْ يَضْمَنُونَ لـها قِـرَاهَا (٦٠)

وفي مقابل ذلك نجد الشعراء يهجون ذوي النفوس الشحيحة، الذين يملئون بطونهم بالطعام والشراب، ويتركون جاراتهم جياعا، يصارعون ألم العوز والجوع، ولا ينهضون بتحقيق أقل الحقوق والواجبات التي تنتظرها الجارة (مثل تقديم القوت الذي يسد الرمق، ويبقي الروح في عصب أجسادهن الهزيلة).

ولا شك أن العوز (كالحاجة إلى الطعام والشراب)، قد نشأ من الجدب والقحط، الذي ساد معظم أوقات السنة في تلك البيئة الصحراوية، فلم يستطع العربي توفير حاجته من القوت في بعض الأوقات . و إذا كان هذا شأن الرجل، فكيف بحال المرأة الضعيفة، التي لا تستطيع التنقل في بيئة محفوفة بالفقر والمخاطر والأهوال؟! لهذا صبَّ الشعراء غضبهم على هؤلاء البخلاء الذين بخلوا على جاراتهم بالزاد، وهم يتمتعون بالشبع والرِّي، وكسوهم آيات الخزي والعار والمذمة التي لا تمحى على مدى الدهر .

أما الإسلام فقد نفي الإيمان عن الرجل الذي يشبع وجاره جائع، روى ابن عباس، قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (ليس المؤمن الذي يشبع،وجاره جائع إلى جنبه) (٦١)، كما روي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: (ما آمن بي من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به)

[٦٢]، وما ذلك النفي إلا نتيجة حتمية لحرص الدين الحنيف على تقوية روابط المحبة والأخوة بين المسلمين، إذ دعا إلى التضامن والتكافل الاجتماعي متخذا من الكرم والإحسان وسيلة لتحقيق الترابط بين أفراد المجتمع، مستغلا بعض عادات العرب وقيمهم المحمودة، التي استقرت في نفوسهم، للوصول إلى مبتغاه، ومنها إكرام الجارة والجار، والإحسان إليهما، وتفقد أحوالهما، وتقديم الطعام للمحتاجين منهم. و مما لا شك فيه، أن تلك القيم الأخلاقية المحمودة أساس هذا الدين الحنيف، أكد ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [٦٣].

إن حق الجارة عند العربي والبر بها كل البر حتى ولو جاع هو ومن حوله – بلا شك – عقيدة أخلاقية راسخة، لا يقبل التنازل عنها مهما واجه من تغيرات الحياة وصروف الدهر. ولذلك كان شعره مهاجما لكل لئيم وبخيل، ينعم بالشبع والري، ولا يصل خيره إلى جارته التي يعصب في أحشائها ألم الجوع، ولا تأخذه المروءة والشهامة في أن يسلك دروب الكرماء من الناس .

هؤلاء البخلاء ولئام الناس هم من صبَّ عليهم الشعراء خزي الزمان وعار الأبد، فجردوهم من الفضائل والخصال المحمودة. و تلك – لا ريب – مذمة أليمة الوقع على النفس. ومن الشواهد على ذلك، هجاء الأعشى لعلقمة بن علاثة، و تعييره بالشح في إكرام جاراته . فقد رُوي أن المهجو علقمة لم يتمالك نفسه من الإجهاش والبكاء من شدة وقع أبيات الأعشى على نفسه، و قال مستنكرا (قاتله الله ! أنحن كذلك؟)، فقد اتهمه وقومه بأنهم يبيتون في جوف الليالي الشتوية الباردة، وقد امتلأت بطونهم ولا يبالون بجاراتهم أن يبتن جائعات، خاويات البطون، لا تقوى أعينهن على الإغماض، من فرط ما يعانين من آلام الجوع، يترقبن غفلة من الحي وطلوع النجوم، ليخرجن فيلتقطن ما يقوتهن، وفي ذلك يقول:

تَبِيتُون في المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُم
وجارَاتُكُم غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا
يُرَاقِبْنَ من جُوعٍ خِلالَ مَخَافَةٍ
نُجُومَ السَّمَاءِ العاتماتِ الغَوامِصَا[٦٤]

وعلى شاكلته يذم مُزَرِّد بن ضرار الذبياني رجلا يدعى زرعة بن ثوب الغطفاني بإهماله لجارات بيته اللاتي يقاسين آلام الجوع فيقول:

أزرع بن ثوب إن جارات بيتكم
هزلن، وألهاك ارتغاء الرغائد [٦٥]

وقد علق أبو زكريا التبريزي على البيت فقال: (قوله (جارات بيتكم) تشنيع... ثم جعل المهجو مُرْتَغِياً لما وسع على نفسه من ألبان الإبل المسلوبة بعد أن كان ضيق العيش، والارتغاء: أخذ الرغوة وشربها. ثم قال مبيناً مراد الشاعر من قوله: (وألهاك ارتغاء الرغائد): (أي ألهاكم الخصب عن جاراتكم)، وهذا أشد لهجائه لهم أن يكونوا اشتغلوا عن جاراتهم وهم مخصبون) [٦٦] ، وأضاف الأستاذ علي البجاوي محقق شرح المفضليات قائلا:(فهو يقول له ضيعتم جاراتكم وشبعتم دونهن،و اللائمة في تضيع المرأة أعظم وأشد) [٦٧] .

فالشاعر يصور لنا بخل المهجو وقلة مروءته، فجارات بيته هزيلات ضعيفات قد أضرهن الجوع، وهو منصرف إلى نفسه، وعامل لهواه،قد انشغل بشرب لبن النياق عن مد يد العون لهن والإحسان

عليهن .

وبعد: فيضيق المجال عن ذكر كل الحقوق الأدبية والمعنوية التي التزمها العرب تجاه الجار والجارة. ويكفي هذا القدر أن يكون دليلا على عظم حق الجار والجارة في الجاهلية والإسلام .

ولعل أول ما يلفت النظر في المعاني الشعرية التي تناولها الشعراء في تلك الحقبة الزمنية أنها تتسم بالأصالة وبالصدق . فقد كان الشعراء صادقين في تعبيرهم عن عواطفهم ومشاعرهم تجاه تلك الحقوق التي تعدُّ – كما أسلفنا سابقاً – عرفا اجتماعيا لا يستطيع أي فرد في المجتمع أن يحيد عنها أو يهضمها. ومن تجرأ لحقه العار . وقد سبق أن ذكرنا الكثير من الشواهد الشعرية التي تشير إلى تمجيد الشعراء لمن تمسك بها وحرص عليها وجعلها منهجا يسير عليها في حياته .

وعلاوة على ذلك. فقد كانت معانيهم مألوفة تعبر بصدق عن واقعهم الاجتماعي والأخلاقي، بل كانت وثيقة تربوية يلقنها العربي لأبنائه وأهله، ليحقق أرفع مستوى للفضيلة، أضف إلى ذلك أن الدارس لهذا الشعر يلاحظ أن معانيه يغلب عليها سمة الوضوح والبعد عن الغموض الذي يحيل الشعر إلى معميات (تجهد الذهن، وتتعب الفكر، وتصعب على الفهم) ولست أراني بحاجة إلى التمثيل للوضوح فمعظم ما مر بنا من نماذج شعرية يوسم بهذه الصفة وينطبع بطابعها.

ومما هو جدير بالذكر أن الدراسة التحليلية تقتضي منا الاهتمام بدراسة العناصر الفنية الشكلية للوقوف علي أهم السمات الأسلوبية التي يتسم بها هذا الشعر.

اللغة الشعرية:

كان لشعر الجار والجارة نصيب من الدقة في اختيار الألفاظ الممثلة للمعنى أتم تمثيل،ومن التأنق في صوغ العبارات المحكمة، وسوف أشير إلى أهم السمات الأساسية في الألفاظ:

أولاً: الإيحاء والدقة في اختيار اللفظ:

بذل الشعراء جهداً ملحوظا في اختيار الكلمة وما تعطيه من إيحاءات، تثير في النفس كمَّاً هائلاً من العواطف والخيالات، وسوف أذكر أمثلة للتدليل على ذلك منها مايلي:

قول عوف بن عطية:

وأمنعُ جاري من المُجحفـا
ت والجارُ ممتنع حيث صارا (٦٨)

وفق الشاعر في اختيار كلمة (ممتنع) ليعبر عن عظم وقوة الحماية التي يحظى بها جاره، فلا يستطيع أحد أن يتجاوزها فيصل إليه.

قول الشنفرى:

تَبِيتُ بُعَيدَ النَّومِ تُهْدِي غَبُوقَهَا
لجارتِهَا إذا الهديَّةُ قَلَّتِ(٦٩)

اختار الشاعر كلمة (قلَّت) للدلالة على شدة كرم زوجته مع جاراتها في أوقات العوز والحاجة .

قول الخنساء:

لا يقوم إلى ابن العم يشتمه
ولا يدب إلى الجارات تخويدا (٧٠)

تبدو دقة الشاعرة في اختيار لفظة (لا يدب) و لفظة (التخويد) واللفظتان توحيان بمعانٍ نبيلة عديدة لعل من أهمها، كامل مروءة أخيها وبعده عن كل ريبة، وحصانة الجارة وعدم التطلع إليها أو الطمع فيها.

قول الخنساء أيضاً:

وجارُك محفـوظ منيعٌ بنجوةٍ

من الضَّيم، لا يُـبْزَى ولا يتذلَّل(٧١)

كما نجدها قد وفقت في اختيار لفظة (منيع) صيغة مبالغة، للدلالة على عظم الحصانة والمنعة التي يتمتع بها الجار فلا يستطيع أحد اختراقها.

وهكذا نجد من خلال النماذج السابقة وغيرها، دقة في اختيار الكلمة بحيث تؤدي المعنى المقصود في أوجز صورة بلاغية منشودة. ولاشك أن هذه الدقة لم تكن متكلفة من قبل الشعراء، وإنما كانت عفوية، مصدرها الذوق الأصيل و اللغة السلسة التي ملك زمامها هؤلاء الشعراء.

ثانياً: الألفاظ بين الجزالة والرقة:

ومن الظواهر البارزة في شعر الجار والجارة: تفاوتها بين السهولة والعذوبة، وبين الجزالة والقوة. ويبدو أن هذا التفاوت مرده طبيعة الموضوع الشعري، إذ أن لكل غرض شعري ما يلائمه من الألفاظ. فما يصلح للمديح قد لا يصلح للفخر، وما يستخدم في الرثاء لا يستخدم في الهجاء، وذلك لأن لكل معنى لفظا يليق به(٧٢)

كما قد يعود هذا التباين في السهولة والجزالة إلى طبع الشعراء،أشار إلى ذلك الجرجاني فقال: (القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم، و يتوعر منطق غيره، وإنما ذلك باختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلاسة اللفظ تتبع سلامة الطبع،ودماثة الكلام بقدر الخلقة) (٧٣)

وفيما يلي بعض النماذج لأبيات اتسمت بالجزالة والقوة، من ذلك:

قول عوف بن عطية مفتخراً:

وأمنعُ جاري من المُجحفـا

ت والجارُ ممتنع حيث صارا(٧٤)

فالبيت هنا قوي جزل، تضمن معاني القوة والعزة، وألفاظه تناسب المقام .

وقول حسان بن ثابت في هجاء بني زهرة:

لئامُ مساعيها، قصارى جدودها

على الخير للجار الغريب محاشد(٧٥)

والناظر في البيت يجد أن لغة الشاعر اتسمت بالقوة والحدة، وتكاد تدنو من الحرب ولغتها

كما نجد قوة الألفاظ وجزالتها في قول الشنفرى مفتخرا بزوجته:

تَبِيتُ بُعَيدَ النَّومِ تُهْدِي غَبُوقَهَا

لجارتِهَا إذا الهديَّةُ قَلّتِ(٧٦)

وقول الأعشى يهجو علقمة بن علاثة:

تبيتُون في المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُم

وجارَاتُكُم غَرْثَى يَبَتْنَ خَمَائِصَا

يُرَاقِبْنَ من جُوعٍ خِلالَ مَخَافَةٍ

نُجُومَ السَّمَاءِ العاتماتِ الغَوامِصَا(٧٧)

ولا يخفى على القارئ ما اتسمت به ألفاظ الأعشى من الصلابة والعنف والشدة

يظهر ذلك في قوله (غرثى، خمائص، عاتمات، غوامص)

أما سلالة الألفاظ ورقتها، فتبدي في قول الأعشى بن النباش يمدح قوما:

لا جارهم يشكو ولا ضيفهم

من دونه باب لهم يَصِرفُ(٧٨)

فألفاظ البيت سهلة مألوفة ، تفصح عن سجايا الممدوح بدون إغراق أو تكلف.

كما تتجلي عذوبة الألفاظ في قول حاتم الطائي:

إذا كان لي شيئان يا أم مالك
فإن لجاري منهما ما تخيرا
وفي واحد إن لم يكن غير واحد
أراه له أهلا إذا كان مقترا[٧٩]

لقد اختار الشاعر ألفاظاً رقيقة مأنوسة لينقل إلى القارئ عواطفه ومشاعره في وضوح تام

وكذلك قول السموءل:

ما ضرنا أنّا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل[٨٠]

ألفاظ البيت سهلة مألوفة، لا يشوب معناه شيء من الغرابة ولا يحتاج القارئ معه إلى الرجوع إلى معاجم اللغة.

كما تتجلى سلاسة الألفاظ وبعدها عن التعقيدات اللغوية في قول عنترة:

وإني لأحمي الجارَ من كل ذلةٍ
وأفرحُ بالضيفِ المقيم وأبهج[٨١]

ثالثاً: الأسلوب:

سهولة الأساليب سمة جلية في شعر الجوار، فلا يحتاج القارئ إلى إعمال الفكر لفهم المقصود منها، ولذلك سوف نتحدث عن أساليب التعبير الفنية القائمة على الظواهر العامة التي اصطبغ بها هذا الشعر، فمن تلك السمات الأسلوبية:

أولاً: التكرار:

سمة ظاهرة من سمات شعر الجار والجارة، وقد استملح ابن رشيق التكرار في اللفظ دون المعنى، وفي مواضع دون أخرى فقال : (وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه) [٨٢] .

ومن ضروب التكرار التي يمكن ملاحظتها في أساليب الشعراء، قول الخنساء تبكي أخاها:

وللجار يوم أن دعا لمضيفه
دعا مستغيثا أولا بالجوانح[٨٣]

فالشاعرة كررت الفعل (دعا) مرتين، لتعبر عن الحرقة والحسرة التي شعر بها الجار والضيف لفقد أخيها صخر

كما كرر أسد بن كرز كلمة الجار خمس مرات في أبياته، ليؤكد عظم مكانة الجار وذلك في قوله:

فما جارُ بيتي بالذليل فترتجى
ظُلامته يوما ولا المتهضمِ
فمن جارُ مولى يدفع الضيم جاره
إذا ضاع جاري يا أميمة أو دمي
وكيف يخاف الضيم من كان جاره
مع الشمس ما إن يستطاع يسلم[٨٤]

وعلى شاكلته نجد بشر بن أبي خازم في هجائه لعتبة بن مالك يكرر اسم ابن ضياء مرتين، لتأكيد انحطاط منزلته الاجتماعية والأخلاقية لخذلانه لجاره وفضحه والتشهير به، وذلك في قوله:

فمن يك من جار ابن ضباء ساخراً
فقد كان في جار ابن ضباء مسخر [٨٥]

وكرر عنترة بن شداد كلمة (جارتي) مرتين، لتأكيد حرمة الجارة، وذلك في قوله:

وأغض طرفي ما بدت جارتي
حتى يُواري جارتي مأواها[٨٦]

ثانياً: التنوع بين الخبر والإنشاء:

لم يسر شعر الجوار على أسلوب واحد يخلو من

التنوع، وإنما انتهج أساليب مختلفة،حوت على الأسلوب الخبري بضروبه المتباينة، والأسلوب الإنشائي بصوره المتعددة، فمن الأساليب الخبرية الابتدائية قول الخنساء:

وجارُك محفوظ منيعٌ بنجوةٍ
من الضَّيم،لا يُـبْزَى ولا يتذلَّل(٨٧)

وكذلك قول عوف بن عطية:

وأمنعُ جاري من المُجحفـا
ت والجارُ ممتنع حيث صارا(٨٨)

وقول عنترة بن شداد:

أغشى فتاة الحيّ عند حليلها
فإذا غزا في الجيش لا أغشاها (٨٩)

كما لجأ الشعراء إلى تأكيد الأسلوب الخبري بمؤكد واحد مثل قول عروة بن الورد:

فـإنَّ حـمـيـتـنـا أبـدا حـرام
وليس لجار البيت منزلنا حميت(٩٠)

وقوله أيضاً:

وإنَّ جارتي ألوت ريح بيتها
تغافلت حتى يستر البيت جانبه(٩١)

وقول حسان بن ثابت:

لأنَّـا نَـرى حـقَّ الجوارِ أمانةً
ويـحـفـظـه مـنَّـا الـكـريمُ المـعَـاهِدُ(٩٢)

وقد يأتي التأكيد بمؤكدين أو أكثر،لإثبات أمر مستقر في قرارة نفس الشاعر كقول عبيد بن الأبرص:

إنَّا لعمرك لا يــُضـــ ـــام حليفنا أبداً لدينا(٩٣)

فالشاعر هنا استعمل مؤكدين هما (إنَّ) والقسم (لعمرك)

وكقول لبيد بن ربيعة:

فإنَّ تقعد فمكرمة حصان
وإنَّ تظعن فمحسنة الكلام(٩٤)

فقد أتى التأكيد في الخبر بتكرار أداة التأكيد (إنّ) في بداية الشطر الأول والثاني.

وهكذا يجد القارئ شيوعاً لأسلوب الخبر في نصوصهم، وذلك أمر طبيعي؛

لأن هذا الأسلوب جسد واقعهم الاجتماعي والأخلاقي فاندفعوا يعبرون عنه بلا تكلف أو تصنع، في صورة مؤثرة، ملفوفة بلفحات العاطفة الصادقة

وكما تنوعت طرائق شعر الجوار في الأساليب الخبرية، تنوعت أيضاً في الأساليب الإنشائية، وذلك يعكس مهارتهم الفنية وقدرتهم الإبداعية علي التعبير عما يكمن في أعماق شعورهم، فهذا أسد بن كرز يستعين بأسلوب الاستفهام، ليعبر عن استبعاد وقوع الضيم على من كان في جواره،وذلك في قوله:

وكيف يخاف الضيم من كان جاره
مع الشمس ما إن يستطاع يسلم(٩٥)

وعلى غراره حاتم الطائي يستعين بالأسلوب الاستفهامي ، ليعبر عن استنكاره لهذا الخلق المشين، الغدر بالجار وخيانته، في قوله:

أأفصحُ جارتي وأخونُ جاري
معاذ الله أفعل ما حييت؟!(٩٦)

كما ورد أسلوب القسم في أساليبهم الفنية نحو قول برذع بن عدي:

فـلا وإلهي لا يـقـول مـجـاوري
ألا أنه قد خانني اليوم برذع(٩٧)

وقد يلجأ الشاعر إلى أسلوب النهي كقول الأعشى:

ولا تـقربـن جـارة إن سرها
عليك حرامٌ فانكحن أو تأبّدا[٩٨]

فالشاعر لا يقصد من النهي إلا النصح والإرشاد وقد يستخدم أسلوب الأمر بقصد النصح والإرشاد كقول لبيد بن ربيعة:

وعَفَّفْ عن الجاراتِ وامنْحـ ـهُنَّ مَيْسَركَ السَّمِينَا[٩٩]

وقول أبي صخر الهذلي:

نـُلـهَا بخيرِكِ واعْـتـزلْ خَلواتِها
واحْذَرْ مـُجَاهَرَةَ الكَذُوبِ الـماحِلِ[١٠٠]

رابعاً: المحسنات البديعية:

أجمع البلاغيون على أن علم البديع،علم يعرف به المزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال، ووضوح دلالته [١٠١]، وسواء كانت هذه المحسنات البديعية تعود إلى الألفاظ أم الأسلوب، فإن القلة وعدم التكلف فيها سمة ظاهرة في شعر الجوار، ومن أهم أنواع البديع التي نجدها في هذا الشعر، الطباق والمقابلة، ومن أمثلة الطباق قول الخنساء:

لا يقوم إلى ابن العم يشتمه
ولا يدب إلى الجارات تخويدا[١٠٢]

فالمطابقة في((الدب)) و((التخويد))

وقول لبيد بن ربيعة:

فإنَّ تقعد فمكرمة حصان
وإنَّ تظعن فمحسنة الكلام[١٠٣]

فالمطابقة هنا في القعود والظعن كما وردت المقابلة في قول السموءل:

مـا ضـرنا أنّـا قليل وجـارنـا
عزيز وجار الأكثرين ذليلُ[١٠٤]

وفي قول عدي بن زيد :

وبسلٌ أن أرى جارات بيتي
يجعن وأن أرى أهلي شباعا [١٠٥]

الصورة الشعرية :

الواقع أن الدارس لهذا الشعر يلاحظ أن الشعراء قد استعانوا في نقل مشاعرهم وأحاسيسهم الانفعالية بالصور البيانية (التشبيه، والاستعارة، والكناية) إلا أن التشبيه هو أكثر هذه الصور البيانية دوراناً في نصوصهم، فبه أصبحت صورهم ذات رونق يفتن الناظر، ونغم يسحر السامع.

وكانت صورهم مستلهمة من البيئة الصحراوية، ومرتبطة بذواتهم ومتصلة بحياتهم العامة، فهذا عدي بن زيد السكوني يصور منعة جار قومه بصورة الوعل المحترز عن طلابه في رأس قُلَّةٍ شامخة،أوكار عتاق الطير دونه،وهو أرفع منها وأحصن، في قوله:

كـأنه صـدع في رأس شـاهقة
من دونـه لـعتـاق الطـيـر أوكار [١٠٦]

وكذلك أوس بن حجر يرسم صورة حقيرة لمن يؤذي جاراته ويتعرض لهن بالسوء والفحشاء، بصورة الذباب المزعج الذي يؤرق الفرد، في قوله:

ولَيْسَ بِطَارِقِ الجارَاتِ مِنِّي
ذُبابٌ لا يُنِيمُ ولا يـَنَـامُ[١٠٧]

كما نجد أثر البيئة عند الأعشى،إذ صوَّر الجار في ظل قوم بني عامر وقد بدت عليه آثار النعمة والشبع بالغصن الناضر، حيث يقول:

والشافعون الجوع عن جارهم
حتى يرى كالغصن الناضر [١٠٨]

ومن صور الكنايات اللطيفة قول زهير بن أبي سلمى:

هلاَّ سألتَ بني الصَّيدَاء كُلِّهِم
بأيِّ حبلٍ جوار كنت أمتسِكُ(١٠٩)

فالشاعر كنى بقوله (حبل جوار) عن تمسكه بأي من علاقات الجوار المتعددة

وقول حاتم الطائي:

وإني لأخزى أن ترى بي بطنةٌ
وجاراتُ بيتي طاوياتٌ ونحفُ (١١٠)

فالشاعر كنى عن الشبع بقوله (بطنة) وكنى عن الجوع بقوله (طاويات) .

وبعد:

فإن حسن الجوار من أهم القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تمسك بها العربي وخلدها في شعره، فكانت هذه الدراسة محاولة لإبراز الصورة الرائعة لعلاقة الجوار في نظر العرب منذ الجاهلية حتى صدر الإسلام،وتسليط الضوء على الجوانب الفنية فيه، وقد توصلت هذه الدراسة إلى بعض النتائج:

- تمكن هذه القيمة الأخلاقية في نفوس العرب منذ الجاهلية،ينفي عن الجاهليين ما نسبه إليهم بعض الكتاب من التجرد من القيم النبلة.
- حسن الجوار عرف اجتماعي حرص عليه العربي حرصه علي الحياة نفسها،وقد أجاد الشعراء بالاحتفاء به، وتصوير مكانته في نفوسهم، حتى صار أعظم من حق النفس.
- افتن الشعراء في صورهم عاكسين في ذلك واقعهم الاجتماعي والأخلاقي ، مستفيدين من الوسائل التصويرية كالتشبيه والكناية، في تجسد حقوق الجار والجارة .
- لا يخلوا هذا الشعر من الزخرفة البديعية التي تأتي عفوية دون تكلف كالطباق والمقابلة والاقتباس.
- أرى أن هذا الموضوع خصب، وما زال بحاجة إلى مزيد من الدراسات الفنية التي تثري جوانبه العديدة.

الهوامش

(١) انظر: أمين، أحمد، (١٩٦٩م)، **فجر الإسلام**، الطبعة العاشرة، مكان النشر [بدون]: دار النشر [بدون]، ص ٤٦ . وانظر : عمارة، إخلاص فخري، (١٤١٢هـ- ١٩٩١م)، **الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية**، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الآداب، ص ١٩-٢٠ .

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦ .

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ)، **صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته وأيامه** -، تحقيق: محمد زهير ناصر، الطبعة الأولى، مكان النشر [بدون]: دار طوق النجاة، ج٨ / ص١٠ .

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٥) زيدان، جورج، (تاريخ النشر [بدون])، **تاريخ التمدن الإسلامي** ، الطبعة [بدون]، القاهرة: مكتبة دار الهلال المصرية، ج٤ / ص٣٥ - ٣٦ .

(٦) البغدادي، محمد شكري الألوسي، (تاريخ النشر [بدون])، **بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق: محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، مصر: مطابع دار الكتاب العربي، ج١ / ص١٤٤ .

(٧) الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد، (تاريخ النشر [بدون])، **الأغاني**، تحقيق: عبد السلام أحمد فراج ، الطبعة [بدون]، بيروت: دار الثقافة، ج٢ / ص ١٨٤ .

(٨) البغدادي، محمد شكري الألوسي، **بلوغ الأدب**، ج١ / ص١٤٤ .

(٩) **شرح ديوان عنترة**، (١٤٠٥هـ -١٩٨٥م)، الطبعة

الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٣١ .

(١٠) **ديوان الخنساء دراسة،** (١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م)، تحقيق الدكتور: إبراهيم عوضين، مكان النشر [بدون]، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، ص ٢٤٦ .

(١١) المصدر السابق، ص٣٦١ .

(١٢) الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد، (تاريخ النشر [بدون])، **الأغاني**، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، الطبعة [بدون]، تونس: الدار التونسية للنشر، ج٢٢ / ص٨ .

(١٣) **المفضليات،** (تاريخ النشر [بدون])، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، القاهرة: دار المعارف، ص٤١٣ .

(١٤) **ديوان عبيد بن الأبرص،** (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، الطبعة [بدون]، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ص١٣٢ .

(١٥) المصدر السابق، ص ١٤٤ .

(١٦) الضامن، حاتم صالح (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) شعر قيس بن الحدادية، **المورد**، م ٨، ع٤، بغداد: وزارة الثقافة والفنون، ص٢٠٦ .

(١٧) المرزوقي، علي أحمد بن محمد بن الحسين، (١٤١١هـ- ١٩٩١م)، **شرح ديوان الحماسة**، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل الطبعة الأولى، مج ١ / ص ١١٢.

(١٨) المصدر السابق، ج١ / ص ٣٣٧ .

(١٩) **ديوان بشر ين أبي خازم الأسدي،** (١٣٧٩هـ-١٩٦٠م)، تحقيق: عزة حسن، الطبعة [بدون]، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص٨٥ .

(٢٠) **ديوان امرئ القيس،** (تاريخ النشر [بدون])، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، مصر: دار المعارف، ص١٤٣ .

(٢١) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، ج٨ / ص١١ .

(٢٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣م)، **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير**، المحقق: يوسف النبهاني، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، ج٣ / ص٧١ .

(٢٣) **ديوان عروة بن الورد،** (تاريخ النشر [بدون])، شرح ابن السكيت، حققه وأشرف على طبعه ووضع فهارسه، عبد المعين الملوحي، الطبعة [بدون]، مكان النشر [بدون]: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، إحياء التراث القديم، ص٣٤ .

(٢٤) المصدر السابق، ص٤٤ .

(٢٥) **ديوان الأعشى الكبير – ميمون بن قيس-،** (١٤١٣هـ -١٩٩٣م)،شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الثانية، بيروت: دار الجيل العلمية، ص ٩٤.

(٢٦) **ديوان شعر حاتم الطائي،** (تاريخ النشر [بدون])، رواية: هشام بن محمد الكلبي، صنعة: يحيى بن مدرك الطائي، دراسة وتحقيق الدكتور: عادل سليمان جمال، الطبعة [بدون]، مكان النشر [بدون]: مطبعة المدني، ص ٢٦٩ .

(٢٧) حسين، طه، (١٩٦٢م)، **الأدب الجاهلي**، مصر: دار المعارف، ص٧٧.

(٢٨) **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري،** الطبعة [بدون]، حققه وعلق عليه الدكتور: وليد عرفات، بيروت: دار صادر، ج١ / ص١٧٦.

(٢٩) المصدر السابق، ج١ / ص٢٦٣.

(٣٠) **المصدر السابق** ، ج ١ / ص ٣٥٢.

(٣١) **ديوان الحماسة،** (تاريخ النشر [بدون])، شرح العلامة التبريزي، الطبعة [بدون]، بيروت: دار القلم، ج١ / ص١٠٨ .

(٣٢) **شرح شعر زهير بن أبي سلمى،** (١٤٠٢هـ –

١٩٨٢م)، صنعة: أبي العباس ثعلب، تحقق: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة، الهامش ص٢٦٢ .

(٣٣) **شرح ديوان الحماسة**، مج ٢ / ص١٥٨٤ .

(٣٤) **ديوان حسان بن ثابت**، ج١ / ص٤٩ .

(٣٥) ابن هشام، (تاريخ النشر [بدون])، **السيرة النبوية**، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السقا وإبراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي، الطبعة [بدون]، مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، مج ٢ / ص١٦٦ .

(٣٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، ج٦ / ص١٨ .

(٣٧) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣٨) **ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي**، ص٢٢٣.

(٣٩) المصدر السابق، ص ٢٣٢ .

(٤٠) **شرح ديوان عنترة**، ص١٥٣ .

(٤١) **الأغاني**، ج١٦ / ص ١٧٣.

(٤٢) **ديوان أوس بن حجر**، (١٤٠٦ هـ-١٩٦٠ م)، تحقيق: محمد يوسف نجم، الطبعة [بدون]، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ص١١٥.

(٤٣) **ديوان الخنساء**، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دراسة وتحقيق الدكتور: إبراهيم عوضين، الطبعة الأولى، مكان النشر [بدون]: المكتبة الأزهرية للتراث، ص٢٤٦ .

(٤٤) **ديوان الخنساء**، ص٢٦٥ .

(٤٥) **ديوان الأعشى الكبير - ميمون بن قيس-**، ص٥١ .

(٤٦) المصدر السابق ص١٩٩ .

(٤٧) **شرح أشعار الهذليين**، (تاريخ النشر [بدون])، صنعة: أبي سعيد الحسن السكري، حققه: عبد الستار فراج، راجعه: محمود محمد شاكر، الطبعة [بدون]، القاهرة: مكتبة العروبة، ج ٢ / ص٩٣٠.

(٤٨) **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، (١٩٦٢م)، حققه وقدم له: إحسان عباس، الطبعة [بدون]، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، ص٢٢٤ .

(٤٩) **ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي**، ص٣١٣ .

(٥٠) **شرح ديوان عنترة**، ص١٥٣ .

(٥١) **ديوان عروة بن الورد**، ص٣٠ .

(٥٢) **ديوان قيس بن الخطيم**، (١٣٨١هـ - ١٩٦٢م)، رواية: ابن السكيت وغيره، حققه وعلق عليه: ناصر الدين الأسد، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة دار العروبة، ص ١٠٨ .

(٥٣) **ديوان أوس بن حجر**، ص١١٥ .

(٥٤) تنباك، مرزوق بن صنيتان، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، **الجوار عند العرب في الشعر حتى العصر الأموي**، الطبعة الأولى، مكان النشر [بدون]، دار المعارف، ص١٠٩.

(٥٥) **ديوان عدي بن زيد العبادي**، (١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م)، حققه وجمعه: محمد جبَّار المعيبد، بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، ص١٤٧ .

(٥٦) **ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي**، ص ٢٢٣ .

(٥٧) المصدر السابق، ص ٢٤٧.

(٥٨) **ديوان الشنفرى**، (١٩٩٦م)، إعداد وتقديم: طلال حرب، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ص٣٦ .

(٥٩) **ديوان لبيد بن ربيعة**، ص٢٥٧ .

(٦٠) **ديوان الحطيئة**، ص ١١٧ .

(٦١) المروازي، الحسين بن الحسن، (١٤١٩هـ)، **البر والصلة**، تحقيق: محمد سعيد بخاري، الطبعة الأولى، الرياض: دار الوطن، ص١٢٣ .

(٦٢) سبق تخريجه ص١١ .

(٦٣) العتكي البزَّار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، (تاريخ

النشر [بدون])، **مسند البزَّار**، تحقيق: عادل بن سعد، الطبعة [بدون]، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم الطبعة الأولى، ج ١٥ / ص ٣٦٤.

(٦٤) **شرح ديوان الأعشى**، ص ١٠٢.

(٦٥) **المفضليات**، الهامش ص ٢٥٥ .

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٧٧

(٦٧) التبريزي، يحيى بن علي بن محمد، (تاريخ النشر [بدون])، **شرح المفضليات**، تحقيق علي محمد البجاوى، الطبعة [بدون]، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص٢٥٤-٢٥٥ .

(٦٨) **المفضليات**، ص٤١٣.

(٦٩) **ديوان الشنفرى**، ص٣٦.

(٧٠) **ديوان الخنساء**، ص٢٦٥ .

(٧١) **المصدر السابق**، ص٢٤٦.

(٧٢) العلوي، محمد بن طباطبا، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، **عيار الشعر**، تحقيق الدكتور: عبد العزيز بن ناصر المانع، الطبعة [بدون]، الرياض: دار العلوم، ص١١ .

(٧٣) الجرجاني، علي بن عبد العزيز، (تاريخ النشر [بدون])، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ص ١٧-١٨ .

(٧٤) **المفضليات**، ص٤١٣.

(٧٥) **ديوان حسان بن ثابت**، ج ١ / ص ٣٥٢.

(٧٦) **ديوان الشنفرى**، ص٣٦ .

(٧٧) **شرح ديوان الأعشى**، ص ١٠٢ .

(٧٨) **السيرة النبوية**، مج ٢ / ص١٦٦ .

(٧٩) **ديوان شعر حاتم الطائي**، ص ٢٦٩ .

(٨٠) **شرح ديوان الحماسة**، ج ١ / ص ١١٢ .

(٨١) **شرح ديوان عنترة**، ص ٣١ .

(٨٢) القيرواني الأزدي، الحسن بن رشيق، (١٩٧٢م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، الطبعة الرابعة، بيروت: دار الجيل، ج٢ / ص٧٤ .

(٨٣) **ديوان الخنساء**، ص٣٦١.

(٨٤) **الأغاني**،ج٢٢ / ص٨.

(٨٥) **ديوان بشر ين أبي خازم الأسدي**، ص ٨٥.

(٨٦) **شرح ديوان عنترة**، ص١٥٣.

(٨٧) **ديوان الخنساء**، ص٢٤٦.

(٨٨) **المفضليات**، ص ٤١٣.

(٨٩) **شرح ديوان عنترة**، ص١٥٣.

(٩٠) **ديوان عروة بن الورد**، ص٣٤.

(٩١) المصدر السابق، ص٣٠٩.

(٩٢) **ديوان حسان بن ثابت**، ج١ / ص٤٩.

(٩٣) **ديوان عبيد بن الأبرص**، ص١٣٢.

(٩٤) **ديوان لبيد بن ربيعة**، ص٢٥٧.

(٩٥) **الأغاني**، ج٢٢ / ص٨ .

(٩٦) **ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي**، ص٢٢٣ .

(٩٧) **الأغاني**، ج١٦ / ص ١٧٣ .

(٩٨) **ديوان الأعشى الكبير - ميمون بن قيس -**، ص٥١.

(٩٩) **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، ص٢٢٤.

(١٠٠) **شرح أشعار الهذليين**، ج ٢ / ص٩٣٠.

(١٠١) طبانة، بدوي، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، **معجم البلاغة العربية**، الطبعة الثالثة، جدة: دار المنارة، الرياض: دار الرفاعي، ص٦٧.

(١٠٢) **ديوان الخنساء**، ص٢٦٥.

(١٠٣) **ديوان لبيد بن ربيعة**، ص٢٥٧.

(١٠٤) **شرح ديوان الحماسة**، مج ١ / ص ١١٢.

(١٠٥) **ديوان عدي بن زيد العبادي**، ص١٤٧.

(١٠٦) **ديوان الحماسة**، ج١ / ص١٠٨.

(١٠٧)**ديوان أوس بن حجر**، ص١١٥.

(١٠٨) **ديوان الأعشى الكبير – ميمون بن قيس** –، ص ٩٤.

(١٠٩) **ديوان زهير بن أبي سُلمى،** (١٣٨٤– ١٩٦٤م)، الطبعة [بدون]، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ص٥١.

(١١٠) **ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي،** ص ٢٢٣.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم .

– الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد، (تاريخ النشر [بدون])، **الأغاني**، تحقيق: عبد السلام أحمد فراج ، الطبعة [بدون]، بيروت: دار الثقافة .

– الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد، (تاريخ النشر [بدون])، **الأغاني**، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، الطبعة [بدون]، تونس: الدار التونسية للنشر.

– أمين، أحمد، (١٩٦٩م)، **فجر الإسلام**، الطبعة العاشرة، مكان النشر [بدون]: دار النشر [بدون].

– البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ)، **صحيح البخاري – الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم سننه وأيامه** –، تحقيق: محمد زهير ناصر، الطبعة الأولى، مكان النشر [بدون]: دار طوق النجاة .

– البغدادي، محمد شكري الألوسي، (تاريخ النشر [بدون])، **بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق: محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، مصر: مطابع دار الكتاب العربي.

– التبريزي، يحيى بن علي بن محمد، (تاريخ النشر [بدون])، **شرح المفضليات**، تحقيق: علي محمد البجاوى، الطبعة [بدون]، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

– تنباك، مرزوق بن صنيتان، (١٤١٢هـ–١٩٩٢م)، **الجوار عند العرب في الشعر حتى العصر الأموي**، الطبعة الأولى، مكان النشر [بدون]: دار المعارف .

– الجرجاني، علي بن عبد العزيز، (تاريخ النشر [بدون])، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

– حسين، طه، (١٩٦٢م)، **الأدب الجاهلي**، الطبعة [بدون]، مصر: دار المعارف.

– **ديوان الأعشى الكبير،ميمون بن قيس،** (١٤١٣هـ–١٩٩٣م)، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الثانية، بيروت: دار الجيل العلمية .

– **ديوان امرئ القيس،** (تاريخ النشر [بدون])، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، مصر: دار المعارف.

– **ديوان أوس بن حجر،** (١٤٠٦ هـ–١٩٦٠ م)، تحقيق: محمد يوسف نجم، الطبعة [بدون]، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

– **ديوان بشر ين أبي خازم الأسدي،** (١٣٧٩هـ –١٩٦٠ م)، تحقيق: عزة حسن، الطبعة [بدون]، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

– **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري،** (تاريخ النشر [بدون])، حققه وعلق عليه الدكتور: وليد عرفات، الطبعة [بدون]، بيروت: دار صادر .

– **ديوان الحماسة،** (تاريخ النشر [بدون])، شرح العلامة التبريزي، الطبعة [بدون]، بيروت: دار القلم .

– **ديوان الخنساء،** (١٤٠٥هـ–١٩٨٥م) ، دراسة وتحقيق الدكتور: إبراهيم عوضين، الطبعة الأولى، مكان النشر [بدون]: المكتبة الأزهرية للتراث.

– **ديوان زهير بن أبي سُلمى،** (١٣٨٤– ١٩٦٤م)، الطبعة [بدون]، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر .

- **ديوان شعر حاتم الطائي،** (تاريخ النشر [بدون])، رواية: هشام بن محمد الكلبي، صنعة: يحيى بن مدرك الطائي، دراسة وتحقيق الدكتور: عادل سليمان جمال، الطبعة [بدون]، مكان النشر [بدون]: مطبعة المدني.

- **ديوان الشنفرى،** (١٩٩٦م)، إعداد وتقديم: طلال حرب، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

- **ديوان عبيد بن الأبرص،** (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، الطبعة [بدون]، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

- **ديوان عدي بن زيد العبادي،** (١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م)، حققه وجمعه: محمد جبَّار المعيبد، الطبعة [بدون]، بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر والطبع.

- **ديوان عروة بن الورد،** (تاريخ النشر [بدون])، تحقيق وشرح: ابن السكيت، حققه وأشرف على طبعه ووضع فهارسه: عبد المعين الملوحي، الطبعة [بدون]، مكان النشر [بدون]: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، إحياء التراث القديم .

- **ديوان قيس بن الخطيم،** (١٣٨١هـ - ١٩٦٢م)، رواية: ابن السكيت وغيره، حققه وعلق عليه: ناصر الدين الأسد، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة دار العروبة .

- زيدان، جورج، (تاريخ النشر [بدون])، **تاريخ التمدن الإسلامي** ، الطبعة [بدون]، القاهرة: مكتبة دار الهلال المصرية.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣م)، **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير،** تحقيق: يوسف النبهاني، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر.

- **شرح أشعار الهذليين،** (تاريخ النشر [بدون])، صنعة: أبي سعيد الحسن السكري، حققه: عبد الستار فراج، راجعه: محمود محمد شاكر، الطبعة [بدون]، القاهرة: مكتبة العروبة.

- **شرح ديوان عنترة،** (١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م)، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية .

- **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري،** (١٩٦٢م)، حققه وقدم له: إحسان عباس، الطبعة [بدون]، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء.

- **شرح شعر زهير بن أبي سلمى،** (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، صنعة: أبي العباس ثعلب، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة .

- الضامن، حاتم صالح، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، شعر قيس بن الحدادية، **المورد،** م ٨،ع٤، بغداد: وزارة الثقافة والفنون.

- طبانة، بدوي، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، **معجم البلاغة العربية،** الطبعة الثالثة، جدة: دار المنارة، الرياض: دار الرفاعي.

- العتكي البزَّار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، (تاريخ النشر [بدون])، **مسند البزَّار،** تحقيق: عادل بن سعد، الطبعة الأولى، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

- العلوي، محمد بن طباطبا، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، **عيار الشعر،**، تحقيق الدكتور: عبد العزيز بن ناصر المانع، الطبعة [بدون]، الرياض: دار العلوم .

- عمارة، إخلاص فخري، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، **الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية،** الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الآداب .

- القيرواني الأزدي، الحسن بن رشيق، (١٩٧٢م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،** الطبعة الرابعة، بيروت: دار الجيل.

- المرزوقي، علي أحمد بن محمد بن الحسين، (١٤١١هـ- ١٩٩١م)، **شرح ديوان الحماسة،** نشره: أحمد أمين و عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل .

- المروازي، الحسين بن الحسن، (١٤١٩هـ)، **البر**

والصلة، تحقيق: محمد سعيد بخاري، الطبعة الأولى، الرياض: دار الوطن.

– **المفضليات**، (تاريخ النشر [بدون])، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، القاهرة: دار المعارف .

– ابن هشام، (تاريخ النشر [بدون])، **السيرة النبوية**، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السقا و إبراهيم الابيارى و عبد الحفيظ شلبي، الطبعة [بدون]، مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية.

The male and the Female Neighbours in the Poetry of al-Jahiliyyah and early Islamic Eras: An Objective Artistic Study

Khairiya Ali al - Shater
King Abdulaziz University- Jeddah Saudi Arabra

*Abstract***.** This research is a literary study of ancient Arabic poetry, entitled,"the male and the female neighbours in the poetry of al-Jahiliyyah and early Islamic eras: an objective artistic study"

The researcher explored aspects of this poetic theme, and presented poetic examples to a number of poets (Hatim al-Ta'i, al-Asha, al-Khansa, Abu Sakhr al-Houdhali, Antara bin Shaddad, Aws bin Hajar, Labeed bin Rabia, Qais bin al-Khatim, and al-Shanfar…etc" The researcher has used the descriptive approach.

The reason behind choosing this topic is a tendency of resurrecting the old social and moral values which characterized Arabs in the pre-Islamic era, and which became a part of their existence. Another reason is showing how Islam deals with, sticks to, and asks for such noble values, and reminding Muslims and Arabs of the old generations' original values which led to their union and affection.

Finally, it appears that such literary topic has only been touched on either in short papers or in writings about Arabic literature history in that era. Thus it needs to be dealt with in an independent comprehensive scientific study that combines the poetry related to that topic.

Keywords: male neighbour and female neighbour - ancient Arabic poetry - pre-Islamic era - early Islamic period.